مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة

ISSN: 2709-0302 (online)



Humanities and Educational Sciences Journal

ISSN: 2617-5908 (print)

إتباع الهوى في القرآن الكريم مظاهرة، آثاره، وعقوباته(*)

د/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

اليمن - إب

*) تاريخ تسليم البحث 1/7/2021. تاريخ قبوله للنشر 11/7/2021.

*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

إتباع الهوى في القرآن الكريم
مظاهرة،
آثاره،
وعقوباته

د/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
اليمن - إب

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان حقيقة اتباع الهوى، وذلك من خلال دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع، وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي؛ من أجل الوصول إلى ما يهدف إليه هذا البحث. وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، فيها التعريف بالهوى وبيان نهي القرآن الكريم عنه، وفيها ذكر بعض المظاهر العملية لاتباع الهوى في حياة الناس وفي معاملاتهم، وفيها بيان آثار اتباع الهوى في حياة الناس وفي الوجود كله، وفيها بيان عقوبات اتباع الهوى على صاحبه في الدنيا والآخرة.

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج، منها: ذم الله تعالى اتباع الهوى في كتابه الكريم، وقد حذر سبحانه وتعالى عباده من اتباع أهواءهم المخالفة لشرعه ودينه، وأن لاتباع الهوى مظاهر عملية كثيرة في حياة الناس وفي واقعهم، وأن لاتباع الهوى آثار خطيرة في الكون والوجود، ولاتباع الهوى عقوبات وخيمة تلحق صاحبها في دنياه وأخراه. أهل الكتاب أكثر الناس اتباعا لأهوائهم ويتَّبِع بعض المؤمنين أهوائهم بنسب مختلفة ودرجات متفاوته.

كلمات مفتاحية: الهوى، الاتباع، القرآن الكريم.



Quranic Verses on Obedience to Whims, its Manifestations، Effects and Consequences

Dr. Abdul Raqib Abdo Khaled Abdullah
Assistant Professor at Yemen-based

Abstract

The research aimed to address obedience to desires and whims by examining relevant verses of Quran. To this purpose، the descriptive-inductive method was used. It consisted of an introduction and four sections covering obedience to whims and its definition and explanation, the Quranic verses forbidding it and practical examples for it from the lives of individuals and their dealings, in addition to highlighting its effects on individuals and societies and the deserved penalties both in the here and the hereafter for those committing it. The research has led to several results, including that Allah Almighty in His Holy book has dispraised obedience to whims and warned His servants of it because it is contrary to His law and religion, that obedience to whims take different forms and manifestations in the practice of individuals, that committing it has serious implications in life and later after the death. The research also found out that obedience of whims is mostly committed among People of the Book and then, to varying extents, by Muslim believers.

Key words: Holy Quran, whims, obedience.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فإن اتباع الهوى، أصل كل شر، وأساس كل بلية، وسبب كل معصية، وهو الباعث الأساسي وراء الإعراض عن دين الله عز وجل في تاريخ البشرية القديم والحديث، والضلال الذي تشهده البشرية اليوم سببه اتباع معظم البشر لأهوائهم، في عباداتهم ومعاملاتهم وفي تشريعاتهم وشهواتهم، والمعاصي التي يقترفها بعض المسلمين، إنما يقعون فيها استجابة لداعي الهوى، وكذلك سائر الشرور والآثام ترجع أسبابها - في الغالب- لاتباع الهوى؛ لهذا حذر الله تعالى الخلق في كتابه الكريم من اتباع أهوائهم، وبين لهم مظاهره وآثاره في حياتهم الدنيا، وذكر لهم وعقوباته في أخراهم؛ حتى لا يقعوا في عبادة أهوائهم من دون الله تعالى، وصدق الله تعالى القائل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقد استلهمنا من هذه الآية عنوان بحثنا، فاتباع الهوى مظهر من مظاهر عبادة غير الله تعالى، ومن آثار عبادة الهوى ينتج الضلال على علم، ثم تأتي العقوبات المتلاحقة لمن عبد هواه من دون الله تعالى، فيختم الله على سمعه وقلبه ويجعل على بصره غشاوة، وعندما يصل العبد إلى هذا الحد من الضلال لن يجد له هاديا يهديه من دون الله تعالى، فكان عنوان بحثنا: **(إتباع الهوى في القرآن الكريم، مظاهرة، آثاره، وعقوباته)**.

أهمية البحث

يظن الكثير من المسلمين أن اتباع الهوى مقصور على إتباع هوى النفس في شهواتها ورغباتها المحرمة فقط - وهذا مفهوم منقوص لحقيقة اتباع الهوى- والحقيقة أن اتباع الهوى يدخل في كثير من المجالات، فهو يدخل في العبادات والمعاملات، وفي قضايا الحكم والتشريع والتحليل والتحريم، وفي أمور القضاء والشهادات، وفي غيرها من المجالات، ولم يقف الباحث على دراسة تتناول موضوع اتباع الهوى من هذه الزاوايا، فجاء هذا البحث مساهمة منا لتجلية هذا الموضوع وبيان حقيقته في ضوء القرآن الكريم.

أهداف البحث

١- بيان حقيقة اتباع الهوى، وذكر مخاطرة، من خلال القرآن الكريم.
٢- معرفة المظاهر العملية لا تباع الهوى في حياة الناس، من خلال القرآن الكريم.
٣- ذكر بعض الآثار الخطيرة لاتباع الهوى، من خلال القرآن الكريم.
٤- معرفة العقوبات الوخيمة لا تباع الهوى في دنيا الناس وآخرتهم، من خلال القرآن الكريم.

مشكلة البحث

اتباع الهوى من المشكلات التي تعترض حياة المسلمين بشكل دائم ومستمر؛ في محاولة منها للحيلولة بينهم وبين اتباع الحق والهدى الذي جاءهم من عند ربهم وخالقهم، وكثير من المسلمين يجهلون مظاهر اتباع الهوى وآثاره وعقوباته، فجاء هذا البحث لبيان مظاهر اتباع الهوى وذكر

آثاره، والتحذير من عقوباته في الدنيا والآخرة، من خلال القرآن الكريم؛ حتى يكون المسلم على بينة من أمره تجاه هذا الموضوع الهام والخطير.

تساؤلات البحث

يجيب هذا لبحث عن الأسئلة التالية:

١- ما المراد باتباع الهوى الذي جاء ذمه في كتاب الله تعالى؟

٢- ما هي المظاهر العملية لاتباع الهوى، من خلال القرآن الكريم؟

٣- ما هي الآثار الخطيرة لا تباع الهوى، من خلال القرآن الكريم؟

٤- ما هي العقوبات الوخيمة لا تباع الهوى في دنيا الناس وآخرتهم، من خلال القرآن الكريم؟

حدود البحث

للبحث حُدُودٌ موضوعية، وهي الآيات القرآنية التي تحدثت عن اتباع الهوى وما ارتبط بها من أقوال المفسرين، بالإضافة إلى الأحاديث النبوية التي تحدثت عن هذا الموضوع.

منهج البحث

المنهج الوصفي الاستقرائي؛ وذلك من خلال جمع الآيات التي تتحدث عن اتباع الهوى، وتقسيمها بحسب دلالاتها إلى مباحث، مع الاستفادة من أقوال المفسرين وآرائهم حول هذه الآيات.

الدراسات السابقة

موضوع الهوى من الموضوعات التي كتب فيه أهل العلم كتبا كثيرة في القديم والحديث، وكل تناول هذا الموضوع من زاوية معينة، ومن أبرز الدراسات التي وقفت عليها في هذ الموضوع ما يلي:

١- أثر الهوى على التوحيد، رسالة ماجستير، لمنذر خليل صالح الغماري، نوقشت في الجامعة الإسلامية في غزة، فلسطين عام١٤٢٦ الموافق ٢٠٠٥، ومحتوها يدل عليه عنوانها؛ حيث احتوت على أثر اتباع الهوى على أقسام التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ولم تتطرق لمظاهر اتباع الهوى وآثاره وعقوباته وهو ما عنيت به هذه الدراسة.

٢- منهج القرآن الكريم في النهي عن اتباع الهوى، للدكتور جهاد محمد فيصل النصيرات، وهو بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون، في الأردن، مجلد٣٦ العدد ٢، عام ٢٠٠٦، وقد التقى بحثي مع هذا لبحث في بعض عناوين المطالب، كمظاهر اتباع الهوى، آثاره، لكن المحتوى مختلف، حيث قصر الباحث معظم تلك المظاهر والآثار على الأفراد، كالذنوب والمعاصي، والجهل والغفلة، والحيرة...، بينما تناولت في بحثي هذا أثر هذه المظاهر والآثار على الأمة، فدخلت فيها أمور الحكم والسياسة ومسائل التشريع والتحليل والتحريم، والقضاء والشهادة، وانفردت هذه الدراسة بذكر عواقب اتباع الهوى في الدنيا والآخرة.

ومن أهم المصادر التي وقف عليها الباحث في هذا الصدد ما يلي:

١ـ ذم الهوى، لابن الجوزي، ويعتبر أقدم موسوعة في هذا الباب، وقد خصص معظم الكتاب للحديث عن اتباع الهوى في جانب الشهوات المحرمة، لم يتناول الموضوع كدراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم، وهو ما عنيت به هذه الدراسة.

٢ـ العقل والهوى، للحكيم الترمذي، وهو كتاب عقد فيه المؤلف مقارنة بين العقل والهوى وذكر جنود كلاً منهما وأعوانه.

خطة البحث

اقتضت خطة البحث أن تتكون من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: ذكرت فيها، أهمية البحث، وأهدافه، مشكلة البحث، تساؤلاته، وحدود البحث، منهجية الباحث التي سار عليها، والدراسات السابقة في الموضوع، وخطة البحث.

المبحث الأول تمهيدي: ويشتمل على التعريف بالهوى، وبيان النهي عنه في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مظاهر اتباع الهوى من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثالث: آثار اتباع الهوى في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: عقوبات إتباع الهوى في القرآن الكريم.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تمهيدي ويشتمل على:
التعريف بالهوى، وبيان النهي عنه في القرآن الكريم

أولاً: الهوى في اللغة

الهوى: مصدر (هَوِيَه) إذا أحبَّه واشتهاه، وإذا قيل: فلان اتَّبع هواهِ إذا أُريد به الهوى المذموم. وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] ومنه قولهم: فلانٌ من (أهل الأهواء): لمن زاغَ عن الطريقةِ المثلى من أهل القِبلة، وتدل المادّة الّتي اشتقّ منها الهوى على السقوط من أعلى إلى أسفل، ومن ذلك قولهم وهَوَى السهم: سقط من علو إلى سفل(١). وقال الراغب الأصفهاني: "سمّي الهوى بذلك؛ لأنّه يَهْوِي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهَاوِيَةِ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [القارعة: ٨ - ٩](٢).

ثانياً: الهوى في الاصطلاح

قال الكفويّ: "الهوى: ميل النّفس إلى ما تستلذّه من الشّهوات من غير داعية الشّرع"(٣)، والهوى: "لا يُسْتعمل غالباً إلا فيما لا خَيْرَ فيه، وقد يُستعمل فيما هو خير، ففي الحديث الصحيح قولُ عمرَ في

---

(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت(٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ٤/٤٥١ بتصرف واختصار، وينظر: أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق : محمود فاخوري وعبدالحميد مختار الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩، ٢/٣٩٢.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت (٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت الطبعة: الأولى ـ ١٤١٢هـ، صـ٨٤٩، بتصرف يسير.

(٣) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات ـ تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري دار النشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، صـ٩٦٢، وينظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥، صـ٣٢٠.

أُسارى بدر: "فَهَوِي رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قالَ أبو بكر ولم يَهْوَ ما قلت ..."(١)، وهوى يَهْوِي بفتحها في الماضي وكسرِها في المضارع فمعناهُ السقوطُ"(٢). وجاء في تعريف الهوى بأنه: "ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة، بقائه فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل وإلى المشرب ما شرب وإلى المنكح ما نكح"(٣) والهوى "مقصور، وهوى النفس: ارادتها وقيل محبّة الإنسان الشّيء وغلبته على قلبه، وإذا أضفته إليك قلت: هواي قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١]، معناه: "نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله- عزّ وجلّ"(٤)، وقال المناويّ: "الهوى نزوع النفس لسفل شهواتها في مقابلة معتلى الروح المنبعث انبساطه"(٥). وعرَّف الدكتور سيد نوح اتباع الهوى بأنه: "السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل أو الرجوع إلى شرع أو تقدير لعاقبة"(٦). ومما سبق يتبين لنا أن اتباع الهوى هو: ميل النّفس إلى ما تشتهيه مما حرمه الله تعالى، ويشمل ذلك الأقوال والأفعال والشهوات والاعتقادات المخالفة لشرع الله تعالى.

ثالثاً: الفرق بين الهوى والشهوة والعقل

قد يتبادر إلى أذهان البعض أن معنى الهوى رديف لمعنى الشهوة، والحقيقة أن بينهما فرق دقيق، وقد تنبه للتفريق بينهما العلامة الماوردي، حيث قال رحمه الله: "الفرق بين الهوى والشّهوة، أنّ الهوى مختصّ بالآراء والاعتقادات، والشّهوة مختصّة بنيل المستلذّات فصارت الشّهوة من نتائج الهوى، والهوى أصل وهو أعمّ"(٧). وقد تعترض الإنسان بعض الأعمال فلا يدري هل الدافع لها الهوى والشهوة أم العقل؟ ويصعب عليه التفريق بينهما، وللتفريق بين ذلك قال الإمام الراغب الأصفهاني: "العقل يُري صاحبه ما له وما عليه، والهوى يُري صاحبه ما له دون ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه؛ والعقل يرَى ما يرى بحجة وعذر، والهوى يَرى ما يَرى بشهوة وميل، وما يراه العقل يتقوى إذا فزع فيه إلى الله تعالى بالاستخارة، وتساعد عليه العقول الصحيحة

---

(١) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت برقم (١٧٦٣).

(٢) أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ت (٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق، ٤٩٩/١ باختصار.

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ذم الهوى: تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة الشيخ محمد الغزالي، صـ١٢، وينظر: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٢، ١٩٩٢، صـ٤٦٩.

(٤) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية. الناشر: دار العلم للملايين- بيروت. الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠، ٣٨٧/٧، باختصار وينظر: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ابن منظور: لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت، لبنان، ٣٧١/١٥ باختصار وتصرف.

(٥) محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٠، صـ٧٤٤.

(٦) سيد محمد نوح، آفات على الطريق، الناشر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ط٣، ٢٠٠٢م، ١٥/٢.

(٧) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ت(٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م، صـ٣٣.

بالاستشارة، وما يشير به الهوى فبالضد من ذلك؛ ولذلك ينبغي للعاقل أن يتهم رأيه أبدًا في الأشياء التي هي له لا عليه، ويظن أنه هوى لا عقل(١).

رابعاً: النهي عن اتباع الهوى في القرآن الكريم

ذم الله تعالى في كتابه الكريم اتباع الهوى؛ وذلك لما له من آثار خطيرة وعقوبات وخيمة في الدنيا والآخرة، قال الراغب الأصفهاني: "وقد عظّم الله تعالى ذمّ اتّباع الهوى، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية: ١٨]، فإنما قاله بلفظ الجمع تنبيها على أنّ لكلّ واحد هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كلّ واحد لا يتناهى، فإذا اتّباع أهوائهم نهاية الضّلال والحيرة، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [الأنعام: ٥٦]"(٢).

وتباع الهوى يتنافى مع اتباع الهدى، فإذا اتبع الإنسان هواه حرم من الهدى المنزل من عند الله تعالى؛ لهذا نهى الله تعالى رسوله من اتباع أهواء الذين لا يعلمون، فقال تعالى مخاطبا رسوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية: ١٨]، قال الإمام ابن جرير: "ثم جعلناك يا محمد على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا، فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك، ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحقّ من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به"(٣).

ولا يكتمل إيمان المؤمن بالله تعالى حتى يكون هواه تبعا للحق الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن لا يقدم عليه هواه ولا ذوقه ولا رأيه، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»(٤)، وهذا الهوى ينبغي أن

---

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني ت(٥٠٢ هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو زيد العجمي دار النشر: دار السلام – القاهرة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، صـ٩٢. باختصار.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن صـ٨٤٩، باختصار, مرجع سابق, وتصرف يسير.

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ت(٣١٠ هـ)، تحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٧٠/٢٢ باختصار .

(٤) أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المعروف بن أبي عاصم ت(٢٨٧هـ) كتاب السنة، ومعه كتاب ظلال الجنة في تخريج السنة، لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٣-١٩٩٣. برقم (١٥)، وقد ضعف هذا الحديث الألباني وقال عنه: رجاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه، وقال عنه الإمام النووي في كتابه الأربعين النووية: حسن صحيح، ووافقه ابن حجر، ينظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري الناشر: دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩، ٢٨٩/١٣، والذي يظهر للباحث: أن تصحيح الإمام النووي وابن حجر لهذا الحديث، أولى ممن قالوا بتضعيفه.

يقوده إلى محبة الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وبذلك يجد المسلم حلاوة الإيمان التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار»(١).

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة أوجب عليه ذلك الحب أن يحب ويهوى ما يحبه الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ ذلك أن "من أحب لله وأبغض لله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوي نفسه، كان ذلك نقصا في إيمانه، فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوي النفس ومراداتها كلها"(٢)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العاجز من الناس من أتبع نفسه هواها، وعاش في دنياه يلهث خلف الأماني الزائفة، فعن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله" (٣).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من أصحاب الأهواء، وحذر من مجالستهم ومخالطتهم؛ لأن تلك المخالطة لهم والاستماع لشبهاتهم، قد تؤدي لاتباع أهوائهم، وتُعدي كما يَعدي الرجل المصاب بداء الكلب الرجل السليم إذا خالطه، ففي مسند أحمد عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**انه سيخرج في أمتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ**(٤) **بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله**»(٥)، ففي هذا الحديث التحذير من مخالطة أصحاب الأهواء والاستماع لأهوائهم وشبهاتهم، لمن لم يكن يمتلك علما للرد عليهم وحماية نفسه من أهوائهم وشبهاتهم، قال الإمام الشاطبي: "إن داء الكَلَبِ فيه ما يشبه العدوى فإن أصل (الكَلَب) واقع بالكَلْب ثم إذا عضَّ ذلك الكلبُ أحدا صار مثله ولم يقدر على الانفصال منه في

---

(١) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م، برقم (١٦) وينظر: صحيح مسلم برقم(١٦).

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم الناشر: دار المعرفة بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، صـ٣٨٩. باختصار.

(٣) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الجيل- بيروت+دار العرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٩٨م برقم(٢٤٥٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وضعفه الألباني، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني ت(١٤٢٠هـ)، ضعيف سنن الترمذي، توزيع: المكتب الاسلامي بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، صـ٢٧٩.

(٤) الكَلَب: بفتح الكاف واللام، داء يَعْرِض للإنسان من عَضِّ الكَلْبِ الْكَلِبِ(هو الكَلْبُ المصابُ بداء الكَلَبِ) فيُصِيبُه شِبْه الجُنون فلا يَعَضُّ أحداً إلاّ كَلِب وتَعْرِض له أعْراضٌ رَدِيئة ويَمْتَنِع من شُرْب الماء حتى يموت عَطَشاً، ينظر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٣٤٨/٤.

(٥) أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد، تعليق شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة برقم (١٦٩٧٩) وقال عنه شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن.

الغالب إلا بالهلكة، فكذلك صاحب الهوى إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلما يسلم من غائلته بل قد يقع في مذهبه ويصير من شيعته، وإما أن يثبت في قلبه شكا فلا يقدر على الانفصال عنه، هذا بخلاف سائر المعاصي, فإن صاحبها لا يضره ولا يدخله فيها إلا مع طول الصحبة والأنس والاعتياد لحضور معصيته"(١).

وقد يعتقد بعض المسلمين أنه على الحق، وأنه صحيح الإيمان, سليم الفكر, صافي العقيدة؛ فيجالس بعض أهل الأهواء، من أصحاب الشبهات والشهوات من المنحرفين في سلوكياتهم، أو في أفكارهم؛ فيقع في شراك أهوائهم وشبهاتهم وهو لا يشعر؛ لهذا يجب عليه الابتعاد عنهم وعن أهوائهم قال الإمام ابن بطة: "ولا يحملنّ أحدا منكم حسن ظنّه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحّة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه، فإنّهم أشدّ فتنة من الدّجّال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من النّاس كانوا يلعنون بعض أصحاب الأهواء ويسبّونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرّدّ عليهم فما زالت بهم المباسطة، وخفيّ المكر، ودقيق الكفر، حتّى صاروا منهم"(٢).

وقد جاء في الآثار ما يدل على هذا المعنى، قال ابن عباس رضي الله عنه: "ما ذكر الله عز وجل الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه(٣)، وقال عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه: "إنّ أخوف ما أتخوّف عليكم اثنتان: طول الأمل واتّباع الهوى. فأمّا طول الأمل فينسي الآخرة، وأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ"(٤)، وقال الإمام الشافعي: "لأن يلقى الله العبد بكلّ ذنب ما خلا الشّرك خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء"(٥). ولأهمية موضوع اتباع الهوى، سوف نتحدث عنه في هذا البحث، مبينين فيه مظاهر اتباع الهوى وآثاره، والعقوبات التي تلحق متبع هواه، في الدنيا والآخرة.

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي، كتاب الاعتصام ،الناشر: دار ابن عفان سنة النشر: ١٤١٢هجرية الموافق١٩٩٢م، ٧٨٩/٢ باختصار وتصرف.

(٢) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ت(٣٨٧هـ)، الإبانة الكبرى، تحقق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي + رضا بن نعسان معطي + يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل + حمد بن عبد الله التويجري + دار النشر: دار الراية، الرياض، الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ٤٦٩/٢، بتصرف يسير.

(٣) ابن الجوزي، ذم الهوى صـ١٢,مرجع سابق، وينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت(٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة، ط٣، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م .(١٦/ ١٦٦)

(٤) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت(٢٤١هـ)، فضائل الصحابة تحقيق د. وصي الله محمد عباس الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣-١٩٨٣، ٥٣٠/١ رقم (٨٨١).

(٥) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، حلية الأولياء، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الرابعة، ١٤٠٥، ١١١/٩.

المبحث الثاني: مظاهر اتباع الهوى في القرآن الكريم

يظن كثير من الناس أن اتباع الهوى ينحصر في تلبية رغبات النفس وشهواتها المحرمة فقط، وهذا تصور قاصر لحقيقة اتباع الهوى، صحيح أن أبرز مظهر من مظاهر اتباع الهوى يتمثل في ذلك، لكن له مع مظاهر أخرى كثيرة متعددة ومتنوعة، فيدخل اتباع الهوى في جانب العبادات وفي أمور التحليل والتحريم، وفي قضايا الحكم والتشريع، وفي جوانب القضاء والشهادات، وهو ما سنتناوله في هذا المبحث في خمسة مظاهر على النحو التالي:

المظهر الأول: اتباع الهوى في العبادة

جانب العبادة بين العبد وربه قائم على مبدأ التسليم والخضوع من العبد لربه سبحانه وتعالى، ولا مجال في هذا الجانب لإعمال الأهواء والعقول، ومن اتبع هواءه في جوانب العبادة لله فقد جعل من هواه إله يعبد من دون الله تعالى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعجب من حال المشركين والكفار وهو يراهم يعبدون غير الله تعالى، فأخبره تعالى أن الذي دفعهم إلى ذلك إنما هو اتباعهم لأهوائهم قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣]، قال الإمام القرطبي: "تلا ابن عباس: هذه الآية ثم قال: الهوى إله يعبد من دون الله، وقال الكلبي وغيره: كانت العرب إذا هوي الرجل منهم شيئا عبده من دون الله، فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الأحسن، ومعنى ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي أطاع هواه، والمعنى: أرأيت من اتخذ إلهه بهواه، فحذف حرف الجار، قال الحسن: لا يهوى شيئا إلا اتبعه، ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي حفيظا وكفيلا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد. فليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئتك، وإنما عليك التبليغ"(١)، وقال الإمام الرازي في تفسيره "يعني تركوا متابعة الهدى وأقبلوا على متابعة الهوى، فكانوا يعبدون الهوى كما يعبد الرجل إلهه، وقُرىء ﴿آلِهَتَهُ هَوَىٰهُ﴾ بالجمع، كلما مال طبعه إلى شيء اتبعه وذهب خلفه، فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها"(٢).

وفي آية أخرى يبين الله تعالى العقوبات المترتبة على من يجعل إلهه هواه من دون الله تعالى، فيعاقبه الله تعالى بأن يختم على سمعه وقلبه ويجعل على بصره غشاوة، وبالتالي لن يصل إلى طريق الهداية والرشاد قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣] قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "قال علي ابن أبي طالب وابن عباس رضى الله عنهما: ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان. معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحلل ما حلل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: وخذله

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ١٣/ ٣٦، بتصرف واختصار.
(٢) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١٤/ ٣٢.

عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كل آية، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ أي: وطبع على سمعه أن سمع مواعظ الله وآي كتابه، فيعتبر بها ويتدبرها، ويتفكر فيها، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى. وطبع أيضا على قلبه، فلا يعقل به شيئا، ولا يعي به حقا. له، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ أي: وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله، فيستدل بها على وحدانيته، ويعلم بها أن لا إله غيره ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾أي: فمن يوفقه لإصابة الحق، وإبصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس، فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا، فلن يهتدي أبدا، ولن يجد لنفسه وليا مرشدا"[(١)].

وقال سيد قطب عند هذه الآية: "والتعبير القرآني المبدع يرسم نموذجا عجيبا للنفس البشرية حين تترك الأصل الثابت، وتتبع الهوى المتقلب؛ حين تعبد هواها، وتخضع له، وتجعله مصدر تصوراتها وأحكامها ومشاعرها وتحركاتها, وتقيمه إلها قاهرا لها، مستوليا عليها، تتلقى إشاراته المتقلبة بالطاعة والتسليم والقبول"[(٢)].

وبهذا يتبين لنا خطورة اتباع الهوى في جوانب العبادات والطاعات، وأن من جعل دليله في هذا الطريق هواه، فقد جعله إله يعبد من دون الله تعالى؛ وذلك أن الطريق الموصل إلى عبادة الله تعالى، إنما تكون عن طريق الوحي المنزل من عنده سبحانه وتعالى، وما عدى ذلك فهو اتباع الهوى قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٣-٤]؛ وذلك أن الله تعالى: "جعل اتباع الهوى مضادا للحق وعده قسيما له، فقد حصر الأمر في شيئين: الوحي وهو الشريعة، والهوى فلا ثالث لهما وإذا كان كذلك فهما متضادان، وحين تعين الحق في الوحي توجه للهوى ضده فاتباع الهوى مضاد للحق، وهذا كله واضح في أن قصد الشارع الخروج عن اتباع الهوى والدخول تحت التعبد للمولى"[(٣)].

فالمؤمن الصادق في عبادته لله تعالى عليه أن يبتعد عن اتباع كل الأهواء التي قد تعترضه في طريق عبادته لله تعالى؛ حتى ينتفع بعبادته لله، وتكون عباداته مقبولة عند الله تعالى.

المظهر الثاني: اتباع الهوى في مسائل التحليل والتحريم

التحليل والتحريم في حياة البشر حق لله تعالى وحده؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الأعلم بما يصلح حياتهم وبما يفسدها قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٤]، وقد جعل الله تعالى من المهمات التي بَعَثَ من أجلها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أن يحل للناس الطيبات ويحرم عليهم الخبائث قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى

---

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق ٧٦/٢٢، باختصار وتصرف يسير.
(٢) سيد قطب إبراهيم، فى ظلال القرآن، دار النشر: دار الشروق ـ القاهرة، ٣٢٣٠/٥.
(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله دراز، الناشر: دار المعرفة – بيروت ١٦٩/٢، باختصار وتصرف.

ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقد كان أهل الجاهلية يُعْمِلون أهواءهم في كثير من القضايا والأمور، ومن هذه القضايا التي أعملوا فيها أهواءهم, تحليل الميتة التي ماتت حتف أنفها كالمنخنقة والمتردية وغيرهما من الميّتات، ويُحرّمون على أنفسهم أكل الأنعام الحية كالبحيرة والسائبة ونحوهما، وأخذوا يثيرون شبهاتهم حول هذه القضية، "فعن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال أتى أناس النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله أنأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١١٨-١٢١][١].

قال عطاء ابن أبي رباح: في هذه الآية الأمر بذكر الله على الشراب والذبح وكل مطعوم[٢]، وقال الإمام الرازي: "دلت هذه الآية على حرمة القول في الدين بمحض الهوى والشهوة[٣] وقال الإمام ابن كثير: "هذا إباحة من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه: أنه لا يباح من الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات، وأكل ما ذبح على النصب وغيرها"[٤]، ثم ذكر الله تعالى حال المشركين الذين يضلون الناس بأهوائهم فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام:١١٩]، قال الشيخ الشعراوي عن هذه الآية: "والذين يضلون بأهوائهم بغير علم هم من

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني ت(١٤٢٠هـ)، صحيح أبي داود، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، برقم (٢٤٤٤)، وينظر: أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي برقم (٣٠٦٩)، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وينظر: أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول ضبطه وصححه: الاستاذ احمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، صـ٩١.

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ت(١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ، ٤٦٩/٢.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٤٥٦/٦، باختصار وتصرف.

(٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت(٧٧٤ هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ٣٢٣/٣، باختصار وتصرف يسير.

أرادوا زراعة الشك في نفوس المسلمين، ومعنى الضلال بالهوى: أي أن تكون عالما بالقضية، ولكن هواك يعدل بك عن مراد الحق من القضية"(١).

وقال سيد قطب معلقاً على هذا الحكم الذي اتخذه المشركون في قضية التحليل والتحريم ــ وفق أهوائهم ورغباتهم: "كانت هذه النصوص تواجه قضية حاضرة إذ ذاك في البيئة، وهى قضية التحليل والتحريم وفق الهوى، واتباع الهوى في قضية الحل والحرمة فيما ذكر اسم الله عليه وما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح، وتأخذ هذه القضية أهميتها من ناحية تقرير مبدأ حق الحاكمية المطلقة لله وحده؛ وتجريد البشر من ادعاء هذا الحق أو مزاولته في أية صورة من الصور, وحين تكون القضية هي قضية هذا المبدأ فإن الصغيرة تكون كالكبيرة في تحقيق هذا المبدأ أو نقضه، ولا يهم أن يكون الأمر أمر ذبيحة يؤكل منها أو لا يؤكل أو أن يكون أمر دولة تقام أو نظام مجتمع يوضع. فهذه كتلك من ناحية المبدأ. وهذه كتلك تعني الاعتراف بألوهية الله وحده؛ أو تعني رفض هذه الألوهية"(٢).

وعندما يُعملُ البشرُ أهواءهم وأمزجتهم في قضية التحليل والتحريم في المأكل والمشرب أو في أمور العبادات أو المعاملات، أوفي قضايا الحكم والتشريع فإنهم يضلون ضلالا بعيدا، ويصيبهم الشقاء والعناء في حياتهم ومعيشتهم، وما أحدثته جائحة (كورونا) عنا ببعيد(٣). وما أحلت جهة ما شيئاً أو حرمته وفقاً لأهوائها ورغبات القائمين عليها، وقبل الناس ذلك وتواطؤا عليه، فقد اتخذوا تلك الجهة ربا يطاع من دون الله تعالى، جاء عند الترمذي بسند حسن أن عدي بن حاتم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد دان بالنصرانية قبل الإسلام فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [التوبة:٣١] قال يا رسول الله: "إنهم لم يعبدوهم، فقال صلى الله عليه وسلم: بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم "وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تفسيرا لهذه الآية: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه"(٤).

المظهر الثالث: اتباع الهوى في الحكم

أنزل الله تعالى على أهل الكتاب كتبا سماوية كثيرة، فيها بيان حكم الله في كل أمور دينهم ودنياهم؛ ولأن بعض أحكام الله تعالى ما وافقت أهواءهم ورغباتهم، فقد عمدوا إلى تحريفها على نحو يتوافق مع أهوائهم ويحقق رغباتهم.

---

(١) محمد متولي الشعراوي ت(١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي الناشر: مطابع أخبار اليوم تاريخ النشر١٩٩٧، صـ٢٧١٣.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق ٣/١٣٣, بتصرف يسير.
(٣) حيث ذهبت كثير من الدراسات والتحليلات إلى أن السبب الأول لانتشار هذا الوباء كان بسبب أكل بعض البشر لبعض الحيوانات التي حرم الإسلام أكلها فاستحلوها بأهوائهم، فأصابهم هذا الفيروس ومنهم انتقل إلى بقية دول العالم، والى اليوم في تاريخ ٥ /٦/٢٠٢١ لم تجد البشرية اللقاح الناجع للقضاء على هذه الجائحة، والسبب مخالفة أمر الله تعالى في قضية التحليل والتحريم واستبدالها بالأهواء البشرية الضالة.
(٤) أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥)، قال عنه الترمذي: هذا حديث غريب، وحسنه الألباني في ضعيف الترمذي.

ولما أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وجعله مهيمنا على الكتب السابقة وناسخا لها، حسد اليهود المسلمين على هذه النعمة وعلموا جاهدين على تحريف بعض أحكامه، وقد قاموا بعدة محاولات في هذا الجانب, فذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة رغبة منهم في تحقيق أهوائهم في ذلك, فأنزل الله على رسوله قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨-٥٠].

قال ابن عباس رضى الله عنه قال: إن جماعة من اليهود، منهم كعب بن أسد وعبد الله بن صوريا، وشاس بن قيس، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا: يا محمد، قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولن يخالفونا، وإن بيننا وبين قوم خصومة, ونحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(١)، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية : "أي لا تتبع أهواءهم عادلا أو منحرفا عن الحق, وفيه النهي له صلى الله عليه وسلم عن أن يتبع أهواء أهل الكتاب، ويعدل عن الحق الذي أنزله الله عليه، فإن كل ملة من الملل تهوى أن يكون الأمر على ما هم عليه، وما أدركوا عليه سلفهم، وإن كان باطلا منسوخا أو محرفا عن الحكم الذي أنزله الله على الأنبياء، كما وقع في الرجم ونحوه مما حرفوه من كتب الله"(٢).

ولخطورة اتباع الهوى في جانب الحاكمية فقد تكرر النهي عن اتباع الهوى في هذه الآية في موضعين منها، ولهذا التكرار هدف ومغزى تنبه إليه سيد قطب حيث قال رحمه الله: "ويعود السياق فيؤكد هذه الحقيقة، ويزيدها وضوحا، فالنص الأول: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ

---

(١) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ت(٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ٣٩٣/١٠.
(٢) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٣١٩/٢.

عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾، قد يعني النهي عن ترك شريعة الله كلها إلى أهوائهم! والآن يحذره من فتنتهم له عن بعض ما أنزل الله إليه فقال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾، فالتحذير هنا أشد وأدق؛ وهو تصوير للأمر على حقيقته، فهي فتنة يجب أن تُحْذَر، والأمر في هذا المجال لا يعدو أن يكون حكما بما أنزل الله كاملا؛ أو أن يكون اتباعا للهوى وفتنة يُحَذِّرُ الله منها"(1). فكما أنه سبحانه هو المتفرد بالخلق لعباده وحده، كذلك ينبغي على عباده أن يفرده بالحاكمية وحده ولا ينبغي لهم أن يتبعوا أهواءهم في قضية الحكمية، وقد قرن الله تعالى بين الحاكمية والعبادة في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾ [يوسف: ٤٠]، فمن عبد الله وحده واتبع هواه في مسألة التحاكم، فتحاكم لغير شرع الله تعالى، فما اكتمل إيمانه.

والناظر في كتاب الله تعالى يجد أن الله تعالى في كتابه الكريم يقسم بما يشاء من مخلوقاته، وفي قضية الحاكمية أقسم بذاته العلية؛ وذلك لأهمية هذه القضية وتأثيرها في حياة الناس، قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [النساء: ٦٥]، والمتأمل في تاريخ الأمة الطويل يجد أن الأمة الإسلامية يوم حكمت شريعة الله تعالى في كل جوانب حياتها، عاشت قوية مهابة الجانب، وأصابها الذل والهوان ويوم أن اتبعت الأهواء واحتكمت في بعض الجوانب لغير شرع الله تعالى، تحت مبررات واهية، وشبهات ساقطه كقول بعضهم: إن التحاكم للإسلام مما يتنافى مع روح الحضارة والتقدم !، وأن تطبيق الأحكام الشرعية ينفر الناس عن الإسلام!، ولما عُطِّلت أجزاء واسعة من الشريعة تحت ضغط هذه المبررات الواهية، وحُكِّمت الأهواء أصاب الأمة ما أصابها اليوم من الفتن والشدائد وصدق الله القائل: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾.

المظهر الرابع: اتباع الهوى في القضاء

آتى الله تعالى نبيه داوود عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب، فكان يقضي بين الناس بالحق، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم، ولما تسور عليه محرابه ملكان على هيئة بشر، وتظاهرا بأنهما وقعت بينهما خصومة على نعاج لهما, استمع داوود عليه السلام للمدعي وظهر له أن الحق معه، فحكم له قبل أن يستمع للمدعى عليه ويستمع لأقواله ووجهة نظره فيما ادعى عليه المدعي، فعاتب الله تعالى نبيه داوود عليه السلام على هذا التصرف وعده لونا من ألوان اتباع الهوى في باب القضاء والحكم

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣٨٤/٢.

بين الناس قال تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها. ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ يعني: بالعدل والإنصاف ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ يقول: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق ﴿ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي: إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحق الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله"(١)، ومن المعلوم أن نبي الله داوود عليه السلام لا يمكنه أن يحكم بين الناس بهواه "لكن الله تعالى، يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم؛ ليشرع لأممهم. ولذلك أمر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم، بمثل ما أمر به داود، ونهاه أيضا عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة: ٤٢](٢).

فمن المظاهر السيئة لاتباع الهوى، اتباع الهوى في مجال القضاء والحكم بين المتخاصمين؛ وذلك لما يترتب على ذلك من آثار خطيرة في حياة الناس، فإذا اتبع القاضي هواه في القضاء بين الناس، فقد يستحل أموال الناس وأعراضهم بغير وجه حق، وقد يكون سبب اتباع القاضي لهواه ــ في هذا الجانب ــ رغبة في حطام الدنيا، أو تحقيق شهوة من شهوات النفس الخفية؛ وذلك هو الضلال بعينه الذي يوصل القاضي للعذاب الشديد في الآخرة؛ ولتجنب هذا المصير على القاضي قبل أن يصدر حكمه" ألا يستثار، وعليه ألا يتعجل، وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد. قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته؛ فقد يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعا أو كاذبا أو ناقصا"(٣)، وهذه الآية تبين لنا قاعدتين من قواعد القضاء بين الناس، **الأولى**: القضاء بين الناس بالحق والعدل وأن لا يتأثر القاضي في هذا الجانب بترغيب أو ترهيب، والقاعدة **الثانية:** أن لا يتبع القاضي الهوى في قضاءه فلا يميل مع أهواء نفسه؛ فإن اتباع الهوى في ذلك طريق موصل صاحبه إلى عذا الله الشديد في الآخرة.

---

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ١٨٩/٢١ باختصار.
(٢) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ت(١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان الطبعة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٣٤٠/٦.
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٠٨/٦.

المظهر الخامس: اتباع الهوى في الشهادة

ومن الأمور التي لها علاقة بسير مجريات التقاضي العادلة اتباع الهوى في جانب أداء الشهادة في حال التنازع الخصام، واتباع الهوى في ذلك قد يقلب الحق باطلا والباطل حقا، وبسبب ذلك قد تزهق أنفس معصومة وتستحل أموال محرمة؛ لهذا نادى الله تعالى المؤمنين وطلب منهم عدم اتباع الهوى أثناء أداء الشهادة، وأن لا يميل بهم الهوى بسبب القرابة فيحملهم اتباع الهوى في ذلك على الشهادة لقراباتهم, وإن كانوا على باطل، وأن لا تتأثر أهواؤهم بحال المشهود عليه ـ من فقر أو غنى ـ فيشهدوا للغني بسبب غناه ويشهدوا على الفقير بسبب فقره، واتباع الهوى في مثل ذلك قد يورد صاحبه موارد التهلكة والضلال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥]. قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والزهري، وقتادة، والضحاك، هذه الآية نزلت في الشهادات(١)، وقال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: ليكن أداء الشهادة ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا، ﴿وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ أي: اشهدوا بالحق ولو عاد ضرر الشهادة عليكم أو على والديكم أو الأقربين منكم، فالله سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ أي: لا ترعاه لغناه، ولا تشفق عليه لفقره، فالله يتولاهما، وهو أولى بهما منك، وأعلم بما فيه صلاحهما: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ﴾ أي: فلا يحملنكم اتباع الهوى والعصبية، على ترك قول الحق في شهادتكم، والزموا العدل على أي حال"(٢). فهذه الآية تتحدث عن وجوب أداء شهادة الحق ولو كانت على النفس أو على الأهل أو الأقربين، فلا يتبع المؤمن هواه في ذلك، وقد وردت آية أخرى تدعو المؤمنين للشهادة بالحق ولو كان مضمون هذه الشهادة لصالح أعدائهم، فلا ينبغي لهم أن يتبعوا الهوى في ذلك, فتحملهم العداوة على الشهادة بعكس الحق وخلافاً للواقع ، وهذا السمو في التعامل الإنساني الذي لم تعرفة البشرية إلا في تاريخ المسلمين يوم أن كانوا مطبقين لتعاليمه وهديه, وبعيدين عن اتباع الهوى، وصدق الله القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت سنة الطبع : ١٤٢٢هـ، ١٢٣/٢، بتصرف يسير.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٤٣٣/٢، باختصار وتصرف.

المبحث الثالث: آثار اتباع الهوى في القرآن الكريم

اتباع الهوى له آثار خطيرة على الفرد والمجتمع والوجود كله، فلو اتبع الحق سبحانه وتعالى، أهواء الخلق لفسد نظام السموات والأرض، والذي يتبع هواه تظهر عليه آثار اتباع الهوى، وهي آثار خطيرة ومخيفة، فمن يتبع هواه لا يستجيب للحق، وإن ظهر لـه صدقه ووضوحه، ومن ثم يكذب بآيات الله تعالى ويكفر برسله؛ فيظلم نفسه باتباعه لهواه، وآثار اتباع الهوى سوف نتناولها في هذا المبحث في خمسة آثار على النحو التالي:

الأثر الأول: فساد السموات والأرض

"جعل الله تبارك وتعالى للكون نظاماً متناسقاً، ينسجم كل جزء من أجزائه في أداء الدور المنوط به مع بقية الأجزاء، في نظام عجيب غريب، ولا يكاد جزء منها يخل بدوره، وأي فساد أو خلل في جزءٍ منه ربما يحدث اضطراباً لنظام الكون برمته"[1]، ولو اتبع الحق- سبحانه وتعالى - أهواء الناس لفسد بناء الكون واختل نظامه؛ لأن أهواء الناس في ذلك سوف تكون متناقضة ومتباينة، وعندها سيقع الفساد والاضطراب في بناء الكون ونظامه وفي حياة الناس ومعاشهم قال تعالى:

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فالحق هو الله عز وجل، قاله مجاهد، وابن جريج ، والسدي[2]

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:"ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم, وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن؛ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح والفاسد من التدبير، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم- مع إيثار أكثرهم الباطل على الحق- لم تقر السموات والأرض ومن فيهن من خلق الله؛ لأن ذلك قام بالحق"[3]. ففي هذه الآية ربط الله تعالى فساد السموات والأرض باتباع أهواء الكفار والمشركين والسبب في ذلك "أن أهواءهم شتى فمنها المتفق عليه، وأكثرها مختلف فيه، وأكثر اتفاق أهوائهم حاصل بالشرك، فلو كانت الحقيقة هي تعدد الآلهة لفسدت السموات والأرض، وقد قال الله تعالى في هذه السورة في موطن آخر: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وهكذا الحال في اتباع أهوائهم المختلفة. ففي ذلك ما يزيد أمرها فسادا؛ وذلك بأن يتبع الحق كل ساعة هوى مخالفا للهوى الذي اتبعه قبل ذلك، فلا يستقر نظام ولا قانون"[4], فلو تبع الحق سبحانه وتعالى أهواء المشركين وجعل إلى جواره شريكا له في الملك، لفسد نظام السموات ولحصل نزاع

---

(١) شيخنا العلامة البرفسور/ عبد المجيد بن عزيز الزنداني، كتاب توحيد الخالق، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٥م، صـ ٣٣.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ٣/ ٢٦٧.

(٣) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٥٧/١٩ بتصرف يسير.

(٤) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ٧٦/١٨ باختصار وتصرف.

بين الإلهين المختلفين في الأهداف والتوجهات، فإله يريد أن يميت شخصا والآخر يريد له الحياة وطول العمر، والإله الآخر يريد أن يسقي عباده الغيث والمطر والآخر يريد يمنع عنهم ذلك، وبالمثل لو اتبع الحق سبحانه وتعالى أهواء الناس في الأرض لفسدت الأرض؛ وذلك لأن أهواء أهل الأرض بعدد رؤوس الخلق، فأي هوى من أهواء الناس سوف يتبعه الحق سبحانه وتعالى؟ هل أهواء من يبيحون المحرمات، كالزنا والخمور وأكل الخنزير؟ أم سيتبع أهواء من يهوون ظلم الناس وسفك دمائهم وانتهاك حرماتهم ولا يرون في ذلك بأسا؟، وصدق الله القائل: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

لذا أوجب الحق سبحانه وتعالى على نفسه أنه لا يتبع أهواء خلقه، وأوجب على عباده اتباع الهدى الذي جاءهم من عنده سبحانه وتعالى، والتخلي عن الأهواء الضالة والمنحرفة؛ حتى يستقيم نظام الكون والحياة، والعالم اليوم يعاني من الشقاء والعناء في مختلف جوانب الحياة، ولعل السبب الأول في ذلك هو اتباع الناس لأهوائهم في سائر شؤونهم وتركهم الهدى الذي جاءهم من عند الله تعالى وصدق الله القائل: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ [طه: ١٢٤].

الأثر الثاني: عدم الاستجابة للحق

بشر الله تعالى ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه في الكتب السماوية السابقة، وبقيت بعض تلك البشارات في كتب أهل الكتاب كماهي، فلم تحرف ولم تتغير، وكان أهل الكتاب والمشركين من العرب يترقبون بعثته صلى الله عليه وسلم ورسالته، وعندما أرسله الله تعالى أيده بكثير من المعجزات، الدالة على صدق نبوته ورسالته، ولما بعثه الله تعالى لم يستجيبوا له ولم يتبعه أكثر أهل الكتاب؛ لأن بعثته وأهداف رسالته لم تتوافق مع أهوائهم ورغباتهم، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾ [القصص: ٥٠]، قال ابن عباس: "يريد فإن لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ ﴾ يعني قد صاروا ملزمين ولم يبق لهم شيء إلا اتباع الهوى، وهذا من أعظم الدلائل على فساد التقليد في مسائل الإيمان وأنه لا بد في ذلك من الحجة والاستدلال"(١). ويزيد العلامة السعدي الآية وضوحاً فيقول في تفسيره " أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فهذا من أضل الناس، حيث عُرِضَ عليه الهدى، والصراط المستقيم، الموصل إلى الله

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٢٢٣/٢٤، باختصار وتصرف.

وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟!، ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له: أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فلهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠﴾ أي: الذين صار الظلم لهم وصفا والعناد لهم نعتا، جاءهم الهدى فرفضوه، وعرض لهم الهوى، فتبعوه، سدوا على أنفسهم أبواب الهداية وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم يعمهون، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون. وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى"(١).

واتباع الهوى في مسائل الإيمان، يُؤدي بصاحبه للضلال البعيد؛ لأن صاحبه أخطأ الطريق، وهذا ما أشار إليه صاحب التحرير والتنوير عند تفسيره لهذه الآية قائلاً: "ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾ إن لم يستجيبوا لدعوتك بعد قيام الحجة عليهم، فاعلم أن استمرارهم على الكفر بعد ذلك ما هو إلا إتباع للهوى، وصاحبه أشد الضالين ضلالا، ووجه كونه لا أضل منه أن الضلال في الأصل خطأ الطريق وأنه يقع في أحوال متفاوتة في عواقب المشقة أو الخطر أو الهلاك بالكلية، على حسب تفاوت شدة الضلال"(٢).

فطريق الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله واضح بين، وقد أيده الله بالمعجزات والآيات الدالة على صحة هذا الطريق وسلامته، ولا يعرض عن الاستجابة للحق الذي جاءهم به من عند الله تعالى، إلا صاحب هوى أو مغرض، قال صاحب الظلال عليه رحمة الله: "إن الحق في هذا القرآن لبين، وإن حجة هذا الدين لواضحة، فما يتخلف عنه أحد يعلمه إلا أن يكون الهوى هو الذي يصده. وإنهما لطريقان لا ثالث لهما: إما إخلاص للحق وخلوص من الهوى، وعندئذ لا بد من الإيمان والتسليم. وإما مماراة في الحق واتباع للهوى فهو التكذيب والشقاق. ولا حجة من غموض في العقيدة، أو ضعف في الحجة، أو نقص في الدليل. كما يدعي أصحاب الهوى المغرضون. فالحق واضح، لا يحيد عنه إلا ذو هوى يتبع هواه، ولا يكذب به إلا متجن يظلم نفسه، ولا يستحق هدى الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠﴾ ولقد انقطع عذرهم بوصول الحق إليهم، وعرضه عليهم، فلم يعد لهم من حجة ولا دليل"(٣).

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت(١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، صـ٦١٨.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٣٩/٢٠ باختصار وتصرف.
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٧٠٠/٥، باختصار وتصرف يسير.

الأثر الثالث: تكذيب الرسل، وقتل بعضهم

من صفات أهل الأهواء-عبر التاريخ- التكذيب بالرسل، وبنوا إسرائيل أشهر من ساروا في هذا الطريق، فقد أرسل الله اليهم رسلا كثير يحملون إليهم الحق من ربهم، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا بهم وأن يتبعوهم، لكنهم اتبعوا أهواءهم في ذلك، فنقضوا عهود الله ومواثيقه، وكذبوا فريقا من رسلهم، وقتلوا آخرين، وقد أخبر الله تعالى عن ذلك في كتابه الكريم فقال: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٠] قال مقاتل: "أخذ ميثاقهم في التوراة بأن يعملوا بما فيها، وقال ابن عباس: كان فيمن كذبوا محمد، وعيسى، وفيمن قتلوا، زكريا، ويحيى قال الزجاج: فأما التكذيب، فاليهود، والنصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيختص اليهود(١)، وقال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: " لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل على الإخلاص في توحيدنا، والعمل بما أمرناهم به، والانتهاء عما نهيناهم عنه وأرسلنا إليهم بذلك رسلا, ووعدناهم على ألسن رسلنا إليهم على العمل بطاعتنا الجزيل من الثواب، وأوعدناهم على العمل بمعصيتنا الشديد من العقاب، لكنهم كلما جاءهم رسول لنا بما لا تشتهيه نفوسهم ولا يوافق محبتهم، كذبوا منهم فريقا، ويقتلون منهم فريقا، نقضا لميثاقنا الذي أخذناه عليهم، وجرأة علينا وعلى خلاف أمرنا"(٢).

والمتأمل في تاريخ البشرية لن يجد أمة تتبع الأهواء كبني إسرائيل، فهم يميلون مع أهوائهم حيث مالت، ويجعلون من أهوائهم آلهة يعبدونها من دون الله تعالى؛ لهذا قص الله تعالى على أمة محمد قصصهم وأخبارهم، قال سيد قطب: "سجل بني إسرائيل مع أنبيائهم حافل بالتكذيب والإعراض؛ حافل بالقتل والاعتداء! حافل بتحكيم الشهوات والأهواء. ولعله من أجل ذلك قص الله تاريخ بني إسرائيل على الأمة المسلمة في تفصيل وتطويل، لعلها تتقي أن تكون كبني إسرائيل؛ ولعلها تحذر مزالق الطريق، أو لعل الواعين منها الموصولين بالله يدركون هذه المزالق؛ أو يتأسون بأنبياء بني إسرائيل حين يصادفون ما صادفوا وأجيال من ذراري المسلمين تنتهي إلى ما انتهى إليه بنو إسرائيل، حين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم؛ فتحكم الهوى؛ وترفض الهدى، وتكذب فريقا من الدعاة إلى الحق، وتقتل فريقا؛ كما صنع بغاة بني إسرائيل، في تاريخهم الطويل"(٣)، وقد جاءت آية أخرى في سورة البقرة - مشابهه لهذه الآية - تبين أن استكبار بني إسرائيل أدى بهم اتباع أهوائهم، ومن ثم كذبوا فريقا من الرسل وقتلوا آخرين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ٨٧].

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ٢٤٣/٢.
(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٧٧/١٠.
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤٠٠/٢.

وهذ التكذيب بالحق صفة ملازمة لبني إسرائيل مع كل نبي ورسول ويشمل كل زمان ومكان، في الماضي والحاضر، لهذا جاء في الآية استفهام تعجبي ليدل على "استمرار ذلك منهم وأنه سجية لهم وليس ذلك عارض عرض لبعض الرسل وفي بعض الأزمنة، والتقدير: أفاستكبرتم كلما جاءكم رسول؟!، فقدم الظرف للاهتمام؛ لأنه محل العجب، وقد دل العموم الذي في ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ على شمول التكذيب أو القتل لجميع الرسل المرسلين إليهم؛ لأن عموم الأزمان يستلزم عموم الأفراد المظروفة فيها، والاستكبار الاتصاف بالكبر وهو هنا الترفع عن اتباع الرسل وإعجاب المتكبرين بأنفسهم واعتقاد أنهم أعلى من أن يطيعوا الرسل ويكونوا أتباعا لهم والفا في وقوله: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ للسببية، فإنهم لما استكبروا بلغ بهم العصيان إلى حد أن كذبوا فريقا أي صرحوا بتكذيبهم أو عاملوهم معاملة الكاذب وقتلوا فريقا آخر"(١).

فبني إسرائيل ممن يتبعون أهوائهم في كل زمان ومكان؛ ويواجهون كل دعوة - تخالف أهواءهم وتوجهاتهم - بالتكذيب بها، والسعي لقتل معتنقيها أو الداعين إليها؛ فحرموا أنفسهم من الإيمان الحق، واستحقوا بذلك أن تحل عليهم لعنة الله وغضبه.

الأثر الرابع: الإعراض عن الهدى

طلب الكفار والمشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم بعض الآيات الدالة على صدق نبوءته ورسالته، ولما أراهم الله تعالى آية انشقاق القمر، كذبوا بها وأعرضوا عنها؛ وازدادوا اعراضا وكفرا؛ بسبب اتباعهم لأهوائهم، قال الله تعالى في هذا الصدد: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ [القمر: ١-٣] قال أنس ابن مالك رضي الله عنه: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين، فقالت قريش: هذا سحر بن أبي كبشة سحركم، فاسألوا المسافرين، فسألوهم فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾، ويقال إنه ببلاد الهند بني بناء في تلك الليلة وأرخ لها بليلة انشقاق القمر"(٢)، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية: "طلب المكذبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، فأشار صلى الله عليه وسلم إلى القمر فانشق بإذن الله تعالى إلى فلقتين، فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى. فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١/٥٩٧، باختصار وتصرف.
(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مرجع سابق، برقم(١٢٧١١)، وقال عنه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وينظر: الواحدي، أسباب النزول، مرجع سابق صـ٤١٨، وينظر: السيوطي، لباب النقول، مرجع سابق، صـ ١٨٥، وينظر: مقبل بن هادي بن مقبل الوادعي ت (١٤٢٢هـ)، الصحيح المسند من أسباب النزول، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، صـ٢٠١.

المرسلين قبله نظيره، فلم يدخل الإيمان في قلوبهم، ففزعوا إلى أهوائهم وطغيانهم، وقالوا: سحرنا محمد، ثم قالوا: اسألوا من قدم إليكم من السفر، فإن محمدا وإن قدر على سحركم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ أي: سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت والكذب؛ لأنه ليس قصدهم اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى، لهذا قال تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾، ولو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعا، واتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أراهم الله على يديه من البينات والبراهين والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية"(١).

فالكفار من أهل مكة لما رأوا آية انشقاق القمر أمام أعينهم، كذبوا بها، رغم تأكدهم من صدق وقوعها عن طريق الخبر اليقين، بالمشاهدة والمعاينة لها، وهذا من شدة كذبهم وامعانهم في اتباع أهوائهم، وهذا حال الكفار في كل زمان ومكان، فمن أراد الوصول إلى الحق عليه أن يتجرد من اتباع الهوى، ويجعل البحث عن الحق هدفه ومراده وإن خالف هواه وعاداته، فالحق أحق أن يتبع.

الأثر الخامس: ظلم النفس

في بداية الإسلام كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس، وكان اليهود يعلقون على ذلك قائلين: يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا، ولولا ديننا لم يدر أين القبلة؟ فتضايق النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، ورُوِيَ أنه قال لجبريل: "وددت لو أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، وكان يريد الكعبة لأنها قبلة إبراهيم"(٢)، ولما أذن الله بتحويل القبلة إلى بيته الحرام زاد إعراض اليهود عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطمع في إيمانهم، فبين الله تعالى أن الكثير منهم لن يتبعون دينه وقبلته الجديدة، وبين له أن السبب وراء اعراضهم عن دين الله عزوجل ليس جهلا منهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله تعالى، ولكن السبب الحقيقي هو اتباعهم لأهوائهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥].

قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "في هذه الآية مبالغة عظيمة، وهي متضمنة للتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وترويح خاطره؛ لأن هؤلاء لا تؤثر فيهم كل آية، ولا يرجعون إلى الحق، وإن جاءهم بكل برهان فضلا عن برهان واحد؛ وذلك أنهم لم يتركوا اتباع الحق لدليل عندهم، أو لشبهة طرأت عليهم، حتى يوازنوا بين ما عندهم وبين ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقلعوا عن غوايتهم عند وضوح الحق، بل كان تركهم للحق تمردا، وعنادا مع علمهم بأنهم ليسوا على شيء، ومن كان هكذا، فهو لا ينتفع بالبرهان أبدا"(٣).

---

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، صـ٨٢٣، باختصار وتصرف.
(٢) الواحدي، أسباب النزول، مرجع سابق، صـ٤٦.
(٣) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ١٧٨/١، باختصار يسير.

والخطاب في الآية وإن كان موجها للنبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن المقصود به أمته؛ لأن الله تعالى قد عصمه من اتباعا الهوى وغيره، وقد تضمنت هذه الآية تحذير شديد من الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من خطورة اتباع أهواء أهل الكتاب، وذلك "أن كل من يتبع أهواء أهل الكتاب وما حرفوه سيكون من الظالمين مهما كانت درجته من الإيمان، وإذا كان الله تبارك وتعالى لن يقبل هذا من رسوله وحبيبه فلن يقبله من أي فرد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعلم أنه لا يتسامح في اتباع أهواء أهل الكتاب ولا يقبلها حتى لو حدثت من رسوله - مع أنها لن تحدث- ولكن حتى نعلم أنها مرفوضة تماما من الله على أي مستوى من مستويات الإيمان حتى في مستوى القمة فتبتعد أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهواء أهل الكتاب تماما[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾، مبالغة في تحذير المؤمنين من اتباع أهواء أهل الكتاب، قال الزمخشري "اشتمل هذا التحذير على عدة مؤكدات ومنها اللام الموطئة للقسم؛ لأنها تزيد القسم تأكيدا، وحرف التوكيد في جملة الجزاء، ولام الابتداء في خبرها، الجملة الإسمية الدالة على الاستمرارية، والإتيان بإذن الدالة على الجزائية فإنها أكدت ربط الجزاء بالشرط"[2]، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الروم: ٢٩]، قال صاحب الضلال معلقا على هذه الآية: "والهوى لا ضابط له ولا مقياس. إنما هو شهوة النفس المتقلبة ونزوتها المضطربة، ورغباتها ومخاوفها. وآمالها ومطامعها التي لا تستند إلى حق ولا تقف عند حد ولا تزن بميزان. وهو الضلال الذي لا يرجى معه هدى، والشرود الذي لا ترجى معه أوبة: ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ نتيجة لاتباعه هواه؟ ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يمنعونهم من سوء المصير"[3]. ورغم التحذير القرآني من خطورة اتباع أهواء أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا أننا - وللأسف الشديد-نجد اليوم في واقعنا المعاصر الكثير من أنباء المسلمين يتبعون أهواء أهل الكتاب في كثير من أمورهم الدينية والدنيوية، ويحاولون تطبيق أهواء أهل الكتاب، في حياتهم الاجتماعية والأخلاقية، وفي مناهجهم التعليمية، وفي أوضاعهم الاقتصادية والسياسية، وكل ذلك

---

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ٦٣٤/١، باختصار وتصرف.
(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت(٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ، ٢٠٣/١)، وينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ت(٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ، ٢٦/٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٧/٢.
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤٨٩/٥.

طريق لظلم أنفسهم ومن أسباب فساد مجتمعاتهم، وصدق الله القائل: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٤٥] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونسأل الله تعالى أن يجنبنا اتباع الأهواء الذين لا يعلمون.

المبحث الرابع: عقوبات إتباع الهوى في القرآن الكريم

اتباع الهوى له عقوبات سيئة تلحق من اتبع هواه، وهذه العقوبات متعددة ومتنوعة، فمن هذه العقوبات ما تكون عاجلة في الدنيا، فيطبع الله على قلب صاحب الهوى، فيكون من الغافلين ومن الغاوين، ويحرم من ولاية الله وهدايته، وأعظم عقوبة لاتباع الهوى الخسارة والندامة في الآخرة، وهذه العقوبات سوف نتناولها في هذا المبحث في خمسة عقوبات على النحو التالي:

العقوبة الأولى: الغواية

قص الله تعالى علينا في كتابه الكريم قصص بعض من آتاهم الله تعالى آياته، وعلمهم من لدنه علما، لكنهم لم ينتفعوا بذلك، فانسحلوا من آيات الله تعالى ولم يعملوا بالعلم الذي تعلموه واتبعوا أهواءهم، ومن هذه القصص التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى، قصة المنسلخ من آيات الله تعالى(1)، الذي آتاه الله تعالى آياته فانسلخ منها، بسبب اتباعه لهواه، فاتبعه الشيطان فكان من أهل الغواية والضلال قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥–١٧٨]، قال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله وتركه واتبع هواه، وكان الحسن يقول: هو المنافق، وقال مجاهد: هو مثل الذي

---

(١) وقد وردت أقوال كثيرة في اسم المنسلخ من آيات الله وفي تحديث زمانه ومكانه، ومن هذه الأقوال: **الأول:** أنه بلعام بن باعوراء، واختلفوا فيه فقيل: كان من اليمن، وقيل كان من الكنعانيين، قال ذلك ابن عباس، وابن مسعود، **والثاني:** قيل إنه أُميَّة بن أبي الصلت، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان أمية قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسِل رسولاً، ورجا أن يكون هو، فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم، حسده وكفر. **الثالث:** أنه كل من انسلخ من الحق بعد أن أُعطيَه من اليهود والنصارى وأهل الإسلام، قاله عكرمة، **قلت:** ولعل قول عكرمة هو القول الأنسب والأرجح؛ لأن ما يضربه القرآن الكريم من أمثلة وما يقصه من قصص هي نماذج بشريه قابلة للظهور في كل زمان ومكان، متى ما توفرت الظروف المتاحة، ووجدت الأسباب المناسبة. ينظر: الطبري، جامع البيان ٢٥٣/١٣، وابن الجوزي، زاد المسير ٥٦/٣، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٠٧/٣، وينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤٠٧، ٢٥٨/١ وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت(٧٧٤هـ)، البداية والنهاية تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط١، سنة النشر: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٣/٢.

يقرأ الكتاب ولا يعمل به. وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن ترك لم يهتد لخير، كالكلب إن كان رابضا لهث وإن طرد لهث(١).

فاتباع الهوى يقود صاحبه إلى الغواية ولوكان صاحبه من أهل العلم و"هذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلى الهوى(٢) وانسلاخ العالم من آيات الله واتباعه لهواه، أشد بشاعة وقبحا من غيره, قال محمد رشيد رضا: "والتعبير بالانسلاخ المستعمل عند العرب في خروج الحيات والثعابين أحيانا من جلودها, وهذا يدل على أنه كان متمكنا منها ظاهرا لا باطنا وانسلاخه منها: تجرده وانسلاله منها وتركه إياها بحيث لا يلتفت إليها لاهتداء ولا اعتبار ولا عمل"(٣)، وهذه القصة التي ذكره الله تعالى لمن اتبع هواه فيها معاني جدير بكل مسلم أن يقف عندها وأن يتأملها, قال ابن القيم:" شبه سبحانه من آتاه كتابه، وعلمه العلم فترك العمل به واتبع هواه بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات، وأوضعها قدرا، وأخسها نفسا، وهمته لا تتعدى بطنه وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا، وهناك سر بديع في تشبيه من ترك الهدى اتبع هواه بالكلب في حال لهثه، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخ من آيات الله واتبع هواه: إنما كان لهثه على الدنيا، نظير لهث الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عليها. وهذا يلهث على الماء من قلة صبره عليه"(٤).

وهذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها واتبع هواه مبهم من مبهمات القرآن فلم يذكر الله تعالى في كتابه الكريم اسمه ولا جنسه ولا وطنه، ولم يرد في السنة الصحيحة شيء يدل على ذلك؛ وما ذكره كثير من أكثر أهل التفسير(٥) من أخبار مطوله حول هذا الرجل وذكروا فيها تفصيل في قصته، الغالب في هذه الأخبار والقصص أنها مأخوذة من الأخبار الإسرائيلية، ومال إلى هذا القول سيد قطب في كتابه الظلال، والذي يُعْتَبَرُ من أفضل كتب التفسير تعاملا مع الروايات الإسرائيلية، فقد تعامل معها بحذر شديد، ونقد معظم ما ورد منها، ويكاد ظلاله يخلوا من الروايات الإسرائيلية، قال رحمه الله تعالى: "تذكر بعض الروايات أنه نبأ رجل كان صالحا في فلسطين، وتروي بالتفصيل الطويل قصة انحرافه وانهياره، على نحو لا يأمن الذي تمرس بالإسرائيليات الكثيرة المدسوسة في كتب التفاسير، أن يكون واحدة منها، ولا يطمئن على الأقل لكل تفصيلاته التي ورد فيها؛ ثم إن في هذه الروايات من الاختلاف والاضطراب ما يدعو إلى زيادة الحذر، فقد رُوي أن الرجل من بني إسرائيل واسمه (بلعام بن باعوراء)، ورُوي أنه كان من أهل فلسطين الجبابرة. ورُوي أنه كان من العرب واسمه (أمية بن الصلت). ورُوي أنه كان من المعاصرين لبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٢٧٣/١٣ باختصار.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق ٥٨/٣.

(٣) محمد رشيد بن علي رضا ت(١٣٥٤هـ)، تفسير المنار الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠، ٣٤٠/٩.

(٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ)، التفسير القيم لابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،٤٤١/١ باختصار وتصرف يسير، وينظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ)، الفوائد الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م، صـ١٠٢.

(٥)الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٢٥٨/١٣ وابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق ٥٦/٣، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٥٠٧/٣، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٣١٩/٧، الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٢٩٧/٧.

واسمه (أبو عامر الفاسق)، ورُوي أنه كان معاصرا لموسى عليه السلام. ورُوي أنه كان بعده على عهد يوشع بن نون؛ لذلك رأينا - على منهجنا في ظلال القرآن- ألا ندخل في شيء من هذا كله. بما أنه ليس في النص القرآني منه شيء. ولم يرد من الحديث المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه شيء. وأن نأخذ من النبأ ما وراءه. فهو يمثل حال الذين يتبعون أهواءهم، فيكذبون بآيات الله بعد أن تتبين لهم فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها، وما أكثر ما يتكرر هذا النبأ في حياة البشر! ما أكثر الذين يعطون علم دين الله، ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه"(١).

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى وأكدته قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤]. فالآيات السابقة شبهة صاحب العلم المنسلخ من آيات الله والمتبع هواه بالكلب، وهاتان الآيتان، شبهتا الناس المتبعين لأهوائهم بالأنعام, قال العلامة ابن القيم, معلقا على هاتين الآيتين" والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له، وجعل الأكثرين أضل سبيلا من الأنعام؛ لأن البهيمة يهديها سائقها فتهتدي وتتبع الطريق فلا تحيد عنها يمينا ولا شمالا، والأكثرون من الناس يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون، والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوبا تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها, وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار، فهم أضل من البهائم فإن من لا يهتدي إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل إليه، أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه"(٢).

فمن عواقب اتباع الهوى أنه يوصل صاحبه إلى هذه الدرجة المتدنية من الغواية والضلال، حيث يوصله إلى مشابهة البهائم والأنعام، ويهبط به عن درجته الإنسانية، ورتبته الآدمية إلى هذا المستوى، نسأل الله تعالى السلامة من الغواية ومتابعة الأهواء.

العقوبة الثانية: الطبع على القلوب

ظهرت حركة النفاق في المدينة النبوية، بعد أن قوية شوكة المسلمين فيها، وصار للمسلمين قوة يخافوها أعداؤها، وهذه القوة جعلت بعض ضعاف النفوس يتظاهرون بالإسلام ويدخلون فيه نفاقا، وقد تصدر هذا المشهد رأس النفاق عبد الله ابن أبي ومن تبعه من المنافقين؛ حيث رأى عبد الله أبن أبي أن مكانته وسيادته في المدينة سوف تتأثر مع وجود دعوة الإسلام في المدينة، وهاله التفاف الناس حول هذه الدعوة الجديدة وبدأ يحيك المؤامرات للإسلام وأهله، وكانت تظهر منه - ومن بعض أتباعه- تصرفات تدل على سخريتهم من الإسلام وبرسوله صلى الله عليه وسلم، ومن هذه التصرفات أنهم كانوا يحضرون مجالس العلم الوعظ، وبمجرد أن يخرجوا منها يطرحون تساؤلاتهم، التي تدل على غمزهم ولمزهم للإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا دليل على أنهم اتبعوا

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٣٢٠/٣ باختصار.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ت(٧٥١ هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: مشهور بن حسن سليمان، شارك في التخريج: أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٨١/٢.

أهوائهم، أن الله قد طبع على قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[محمد: ١٦].

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيسمع المؤمنون منه ما يقول ويعونه، ويسمعه المنافقون فلا يعونه، فإذا خرجوا سألوا المؤمنين: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ﴾ فنزلت هذه الآية(١)، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ قال: هؤلاء المنافقون رجلان، فرجل عقل عن الله وانتفع بما يسمع, ورجل لم يعقل عن الله, ولم يعه ولم ينتفع به، ورُوِي عن الكلبي ومقاتل قولهما: إن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول، ورفاعة بن التابوت، وزيد بن الصليت والحارث بن عمرو ومالك بن دخشم، كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فإذا سمعوا ذكر المنافقين فيها أعرضوا عنه، فإذا خرجوا سألوا عنها"(٢)، فأهل النفاق استحقوا - بتصرفهم هذا - أن يطبع الله تعالى على قلوبهم؛ وذلك بسبب اتباعهم لأهوائهم قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ قال الإمام الطبري في تفسيره،: "يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم، فهم لا يهتدون للحق الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ أي: ورفضوا أمر الله، واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم، فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا برهان، وسوى جل ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين، في أن جميعهم إنما يتبعون أهواءهم فيما هم عليه من فراقهم دين الله عزوجل، الذي ابتعث به محمدا صلى الله عليه وسلم، فقال في هؤلاء المنافقين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ وقال في أهل الشرك والكفر، في السورة نفسها ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ [محمد: ١٤](٣).

والحقيقة أن التساؤلات التي طرحها المنافقون ليست أسئلة من يبحث عن العلم ويبتغي اتباع الحق، وإنما قصدهم السخرية والاستهزاء، قال سيد قطب: "أن المنافقين كانوا يتظاهرون تظاهرا بأنهم يلقون سمعهم وبالهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وقلوبهم لاهية غافلة. أو مطموسة مغلقة. وقد يعنون بهذا السؤال السخرية، من احتفال أهل العلم بكل ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم، وحرصهم على استيعاب معانيه وحفظ ألفاظه - كما كان حال الصحابة رضوان الله عليهم مع كل كلمة يتلفظ بها الرسول الكريم - فهم يسألونهم أن يعيدوا ألفاظه التي سمعوها على سبيل السخرية الظاهرة أو الخفية، وكل ذلك يدل على اللؤم والخبث والانطماس والهوى الدفين ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ

---

(١) السيوطي، لباب النقول في أسباب، مرجع سابق، صـ١٧٦.
(٢) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور الناشر: دار الفكر- بيروت، ١٩٩٣، ٤٦٦/٧، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٨/١٦.
(٣) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ١٧٠/٢٢، بتصرف يسير.

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾، وذلك حال المنافقين"(١)، فالمنافقون استحقوا بسلوكهم هذا، أن يطبع الله على قلوبهم, قال محمد رشيد رضا: "إن من سننه تعالى في البشر أن من يتبع هواه في أعماله، ويستمر على ذلك ويدمنه الزمن الطويل، تضعف إرادته في هواه حتى تذوب وتفنى فيه، فلا تعود تؤثر فيه المواعظ القولية، ولا العبر المبصرة ولا المعقولة، وهذه الحالة يعبر عنها بالختم والران والطبع على القلب، والصمم والعمى والبكم"(٢).

والمتأمل في هذه الآية القرآنية يجد أنها قد احتوت على أساليب بيانية قرآنية فيها تشهير بالمنافقين وبسلوكهم هذا الذي اسحقوا بسببه أن يطبع الله على قلوبهم, قال ابن عاشور: "جيء باسم الإشارة ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ بعد ذكر صفاتهم تشهيرا بهم، وجيء بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصلتيه خبرا عن اسم الإشارة لإفادة أن هؤلاء المتميزين بهذه الصفات هم أشخاص الفريق المتقرر بين الناس، أنهم فريق مطبوع على قلوبهم؛ لأنه قد تقرر عند المسلمين أن الذين صمموا على الكفر هم قد طبع الله على قلوبهم وأنهم متبعون لأهوائهم، فأفادت أن هؤلاء المستمعين زمرة من ذلك الفريق، والطبع على القلب: تمثيل لعدم مخالطة الهدى والرشد لعقولهم بحال الكتاب المطبوع عليه، أو الإناء المختوم بحيث لا يصل إليه من يحاول الوصول إلى داخله، فمعناه أن الله خلق قلوبهم، أي عقولهم غير مدركة ومصدقة للحقائق والهدى"(٣).

فمن العقوبات التي يصاب بها متبع هواه أن الله تعالى يطبع على قبله، فلا ينتفع بموعظة ولا ذكرى؛ وذلك يلحقه بركب المنافقين الضالين، نعوذ بالله من هذا الحال، ونسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

العقوبة الثالثة: الضلال

الهدى والضلال لا يجتمعان؛ لأن الهدى قائم على اتباع الدليل الصحيح الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والضلال قائم على اتباع الشبهات والشهوات، وقد كان المشركون يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم الباطلة - من الأصنام والأوثان- مقابل أن يعبدوا ربه وخالقه سبحانه وتعالى، فنهاه الله تعالى عن اتباع أهوائهم في هذا الجانب وبين له أن ذلك سيؤدي به إلى الضلال البعيد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦] وقدت ورد ت أقوال في معنى قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾, ذكرها ابن الجوزي, أحدها: تعبدونهم من دون الله، قاله ابن عباس. والثاني: تدعونهم آلهة من دون الله. وأهواءهم: دينهم. قال الزجاج: أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البيّنة والبرهان(٤)، فمعبودات أهل الكفر من الأوثان

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤٤٧/٦، باختصار وتصرف يسير.
(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، ٣٦٣/٧.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ١٠١/٢٦، باختصار وتصرف يسير.
(٤) الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ٣٤٦/٢.

والأصنام وغيرهما من المعبودات إنما يعبدونها؛ لأن أهواءهم استحسنتها، وقلدوا في ذلك آباءهم وأجدادهم, قال الإمام الرازي :" كان القوم ينحتون تلك الأصنام ثم يعبدونها، ومن المعلوم بالبديهة أنه يقبح بالصانع أن يعبد مصنوعه. فثبت بذلك أن عبادتها إياها مبنية على الهوى. ومضادة للهدى، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من المهتدين في شيء. والمقصود كأنه يقول لهم: أنتم كذلك، وتبين بذلك أن الذين يعبدونها إنما يعبدونها بناء على محض الهوى والتقليد، لا على سبيل الحجة والدليل"[1].

ولأن اتباع الهوى في مسائل العبادات والطاعات طريق للضلال فقد تكرر الأمر من الله لرسوله مرتين المرة الأولى في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والمرة الثانية في قوله: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾، قال الإمام الألوسي في بيان السبب, وذلك: "للاعتناء بشأن المأمور به وإيذاناً باختلاف القولين من حيث إن القول الأول: نهى من جهة الله تعالى، والقول الثاني: نهي من جهته عليه الصلاة والسلام من الانتهاء عن عبادة ما يعبدون. وفي هذا القول استهجان لهم وتنصيص على أنهم فيما هم فيه من عبادة غير الله تعالى تابعون لأهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطبق عليه الدين أصلاً، وإشعار بما يوجب النهي والانتهاء, وفيه إشارة إلى عدم كفاية التقليد الصرف في مثل هذه المطالب، والعدول إلى الجملة الإسمية في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ للدلالة على الدوام والاستمرار، والمراد: وما أنا إذاً في شيء من الهدى حتى أعد في عدادهم"[2]، وأكثر أهل التفسير أن الأصنام هى التي نهى الله تعالى نبيه عن عبادتها واتباع أهواء الذين كفروا في ذلك، ورغم أن الأصنام لا تعقل فقد استخدم القرآن الكريم معها الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الدال على العقلاء، وقد أوَّل ذلك كثير من المفسرين بأن المسوغ لذلك مجاراة للكفار فيما زعموا حين أنزلوا أصنامهم منزلة من يعقل[3].

ولسيد قطب توجيه لطيف لذلك ــ ولعله تفرد به من بين سائد المفسرين ــ وقد يكون هذا التوجيه هو الذي تشير إليه هذه الآية القرآنية قال رحمة الله: "إن التعبير بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ يستوقف النظر. فكلمة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تطلق على العقلاء.

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٣٠٦/٦، باختصار وتصرف.

(٢) محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة الطبع: ١٤١٥هـ، ٣٤٧/٥، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٤٢١/٢.

(٣) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ت(٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ، ٢٩٨/٢، الألوسي روح المعاني، مرجع سابق، ٣٤٧/٥، الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٤٢١/٢.

ولو كان المقصود هي الأوثان، والأصنام وما إليها لعبر بـ ﴿ما﴾ بدل ﴿ٱلَّذِينَ﴾، فلا بد أن يكون المقصود بـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نوعاً آخر من الأصنام العقلاء الذين يعبر عنهم بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بالإضافة للأصنام والأوثان التي لا تعقل، وهذا الفهم يتفق مع الواقع من جهة، ومع المصطلحات الإسلامية في هذا المقام من جهة، فمن جهة الواقع نجد أن المشركين ما كانوا يشركون بالله الأصنام والأوثان وحدها، ولكن كانوا يشركون معه الجن والملائكة والناس، وهم ما كانوا يشركون الناس إلا في أن يجعلوا لهم حق التشريع للمجتمع وللأفراد، حيث يسنون لهم السنن، ويضعون لهم التقاليد، ويحكمون بينهم في منازعاتهم وفق العرف والرأي، وهنا نصل إلى جهة المصطلحات الإسلامية، فالإسلام يعتبر هذا شركاً، ويعتبر أن تحكيم الناس في أمور الناس تأليه لهم، وجعلهم أنداداً من دون الله، وينهى الله عنه نهيه عن السجود للأصنام والأوثان؛ فكلاهما في عرف الإسلام سواء، شرك بالله ، ودعوة أنداد من دون الله"(١).

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]، فقد وقع أهل الكتاب في الضلال عن سواء السبيل؛ بسبب اتباعهم لأهوائهم وتركهم للهدى الذي جاءتهم به رُسُلُ الله تعالى.

فالضلال من العواقب الوخيمة التي يُصيب الله تعالى بها من اتبع هواه، بعد أن تبين له طريق الهدى والرشاد، فليحذر المؤمن العاقل من ذلك، وليكن شعاره ما قاله الله لرسوله ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

العقوبة الرابعة: الغفلة

لما بعث الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، عرض دعوته على الناس جميعاً، فاتبع دعوته كل من أراد لنفسة السعادة الدنيا في والنجاة في الآخرة، وأعرض عنها كل غافل متبع لهواه، وكان هؤلاء الغافلين، يطمعون أن يحقق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهوائهم ورغباتهم، ومن ذلك أن يطرد فقراء المسلمين إذا أراد أن يحدثهم وأراد أن يستجيبوا لدعوته، فوقع ذلك في نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وهم بتحقيق أهوائهم في ذلك، فنهاه الله تعالى، وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، قال ابن جرير: "إن قوما من أشراف المشركين رأوا النبيّ صلى الله عليه وسلم جالسا مع خبّاب وصهيب وبلال, فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا، وفي رواية ابن زيد أن القوم قالوا للنبيّ صلى

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٥٥/٣، باختصار وتصرف يسير.

الله عليه وسلم: إنا نستحيي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا، فجانبهم يا محمد، وجالس أشراف العرب، فأنزل الله تعالى قوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ... ﴾[١].

وهذه الآية لها سبب نزول مشابه لسبب نزول آية سورة الأنعام, وهى قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ففي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبيّ صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا, وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان (نسيت اسميهما) فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع- فحدّث نفسه- فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢]، أما قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ فقد قال عنها ابن عباس أنها: نزلت في أمية بن خلف الجمحي؛ وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣].

قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طاعة من جعل الله قلبه غافلاً عن ذكره، كأولئك الذين طلبوا منه أن ينحي الفقراء عن مجلسه، فإنهم طالبوا تنحية الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه وهم غافلون عن ذكر الله، ومع هذا فهم ممن اتبع هواه وآثره على الحق فاختاروا الشرك على التوحيد"[٤].

وقد جعل الإسلام التقوى ميزانا للتفاضل بين الخلق عند الله تعالى، وبذلك يكون الإسلام دين المساواة، فلا توجد في الإسلام تفرقة عنصرية بين الناس بسبب أشكالهم أو ألوانهم، ولا يقر الإسلام التفرقة الطبقية بين الناس بسبب غناهم أو فقرهم أو سبب أحسابهم وأنسابهم، وما يوجد في حياة الناس من هذا القبيل فإنما هم من صنيع الغافلين الذين زينت لهم أهواؤهم ذلك، فعاقبهم الله بالغفلة فلا يعون آيات الله وهم في ذلك: " إنما يتبعون أهواءهم، أهواء الجاهلية، ويحكمون مقاييسها في العباد، فهم وأقوالهم سفه ضائع لا يستحق إلا الإغفال جزاء ما غفلوا عن ذكر الله، لقد جاء الإسلام ليسوي بين الرؤوس أمام الله. فلا تفاضل بينها بمال ولا نسب ولا جاه. فهذه قيم زائفة، وقيم زائلة. إنما التفاضل بمكانها عند الله. ومكانها عند الله يوزن بقدر اتجاهها إليه وتجردها له. وما عدا هذا فهو الهوى والسفه والبطلان"[٥].

---

(١) أسباب النزول، للواحدي، مرجع سابق، صـ٣٠٥، وينظر: الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٦/١٨.
(٢) صحيح مسلم برقم، مرجع سابق، (٢٤١٣).
(٣) السيوطي، لباب النقول، مرجع سابق صـ١٣٠، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ٣٩٢/١٠، وابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، ٢١٨/٤.
(٤) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٣٨٤/٤.
(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٦١/٥.

العقوبة الخامسة: العذاب الشديد في الآخرة

إتباع الهوى يقود صاحبه لإنكار اليوم الآخرة، أو التشكيك بـه وبالأدلـة التـي تـدل علـى وجـوده؛ وذلك لأن أصحاب الأهواء نظـرتهم للأشـياء نظـرة ماديـة، وإيمـانهم بالغيـب ضـعيف، فقد قصـروا نظرهم إلى الحياة الدنيا وظنوها كل شيئ؛ لهذا حذر الله تعالى عبـاده المـؤمنين مـن تصـديق شـبهات أهل الأهواء عن الآخرة؛ لأنهم بذلك يصدون غيرهم عن الإيمان بها قـال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طـه: ١٥-١٦] أي: إن الساعة التي هي وقت الحساب والعقاب آتيـة، ومعنـى ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾: "قـال أكثـر المفسرين: أخفيها من نفسي، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتـادة. وقـال المبـرد وقطـرب: وهـذا على عادة مخاطبة العرب يقولون: إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتـى مـن نفسـي، أي لـم أطلـع عليه أحداً؛ ومعنى الآية: أن الله بالغ في إخفـاء السـاعة، فـذكره بـأبلغ مـا تعرفـه العـرب"(١)، والـذين ينكرون اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وعقاب "إنما أنكروها اتباعاً للهوى لا لدليل، وهذا من أعظم الدلائل على فساد التقليد؛ لأن المقلد متبع للهوى لا الحجة"(٢).

والخطاب في الآية وإن كان موجها لنبي الله موسى عليه السلام إلا أنه موجها لكل مؤمن إلى يوم القيامة، والمقصود من ذلك من ذلك النهي: " فلا يصدك عن الإيمان بالساعة، من كان كافرا بها، غير معتقد لوقوعها, يسعى في الشك فيها، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعا في ذلك هواه، فإياك أن تصغي إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئا من أقواله وأعماله الصادرة عن الإيمان بالآخرة والسعي لها سعيها، وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك"(٣). وهكذا تتوالى العقوبات على متبع الهوى حتى يكون مصيره في الآخرة العذاب الشديد فيها، وصدق الله القائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص: ٢٦].

وإذا كان الله تعالى قد توعد من اتبع هواه بالعذاب الشديد في الآخرة فإنه سبحانه وتعالى قد وعـد بالجنة من خاف مقام ربه ونهى نفسه عن أهوائها المحرمة، والتي تقـوده إلـى الضـلال والوقـوع فـي الحــــرام قــــال تعــــالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] فمجاهدة أهواء النفس ورغباتها المحرمة، هو طريق النجـاة فـي الـدنيا والفـوز في الآخرة وذلك أن اتباع الهوى "هو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقل أن يؤتـى الإنسان إلا من قبـل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهـاد شـاق طويـل الأمد لعلاجها، والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وقل أن يثبت غير هذا

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٤/٤٩٠، باختصار.
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ١٠/٣٧٢.
(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، صـ٥٠٣.

الحاجز أمام دفعات الهوى، ومن ثم يجمع بينهما السياق القرآني في آية واحدة, فالذي يتحدث هنا هو خالق هذه النفس العليم بدائها، الخبير بدوائها, وهو وحده الذي يعلم دروبها ومنحنياتها، ويعلم أين تكمن أهواؤها وأدواؤها، وكيف تطارد في مكامنها ومخابئها، وقد كتب الله تعالى للعبد بهذا الجهاد الشاق، الجنة مثابة ومأوى: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾؛ ذلك أن الله يعلم ضخامة هذا الجهاد, وقيمته كذلك في تهذيب النفس البشرية وتقويمها ورفعها إلى المقام الأسنى"[1].

فمن أشد العقوبات التي تنال متع هواه العذاب بالشديد في الآخرة ودخول نار جهنم وبئس القرار، وكفى بذلك عقوبة لمتبعي الهوى، وكفى بها موئلاً ومصيرا.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا البحث مساهمة منا في خدمة كتاب الله العزيز، وقد خَلُصَ الباحث فيه إلى النتائج التالية:

١- اتباع الهوى من الأمور التي ذمها الله تعالى في كتابه الكريم؛ لأن اتباع الهو يتعارض مع الهدى الذي جاءت به الرسل من عند الله تعالى، فهما طريقان لا ثالث لهما، اما طريق الإيمان والهدى أو طريق الضلال والهوى.

٢- حذر الله تعالى عباده من متابعة أهوائهم التي تتعارض مع شرعه ودينه، وحذرهم من متابعة أهل الأهواء، وهم موجودون في كل زمان ومكان، وبين لنا الله تعالى أنه لا يكتمل ايمان المؤمن حتى يكون هواه تبعاً للحق الذي جاءه من عند الله تعالى.

٣- لاتباع الهوى آثار خطيرة، قد تصل إلى فساد السموات والأرض، واتباع الهوى يحول بين الإنسان واتباعه للحق، حتى لو ظهرت له الهدى واستبان له الطريق، وبعض أصحاب الأهواء يعرضون عن الهدى الواضح البين، ويكذبون الدعاة إلى الحق، وقد يقتلون بعضهم.

٤- لاتباع الهوى مظاهر عملية كثيرة في حياة الناس وواقعهم، وليس مقتصراً على اتباع الشهوات المحرمة، فيدخل اتباع الهوى في أمور العبادات والتحليل والتحريم، وفي أمور الحكم والقضاء، والشهادات وسائر جوانب الحياة.

٥- أهل الكتاب- من يهود ونصارى- من أكثر الناس اتباعاً لأهوائهم، ويتبع بعض المؤمنين أهوائهم بنسب مختلفة ودرجات متفاوته، بحسب قربهم أو بعدهم عن الهدي الذي جاءهم من عند الله تعالى.

٦- لاتباع الهوى عقوبات وخيمة تلحق متبعي أهواءهم في دنياهم وأخراهم، وما تعانيه معظم المجتمعات البشرية اليوم من شقاء وعناء يرجع في معظمه لا تباع أهوائهم في سائر أمورهم الفردية والجماعية، وأعظم عقوبات اتباع الهوى دخول نار جهنم والخلود فيها.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٤٤٨/٧، باختصار وتصرف يسير.

التوصيات

١- الحذر من اتباع الأهواء التي تتعارض من دين الله عز وجل؛ لمالها من عواقب وخيمة على الفرد في دنياه وأخراه.

٢- يوصي الباحث الباحثين والدارسين بدراسة المظاهرة العملية لاتباع الهوى، دراسة موسعة؛ لما لها من آثار سيئة في حيا تنا المعاصرة.

٣- يوصي الباحث الدعاة والخطباء بتحذير الناس من اتباع أهوائهم المحرمة، وتوعيتهم بمخاطرها، وذكر مظاهرها وبيان عقوباتها.

٤- دعوة من اتبع هواه - في أي مجال من المجالات- إلى سرعة التوبة والعودة إلى الله تعالى قبل فوات الأوان.

وفي الختام أسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لفعل الطاعات، وترك المنكرات وأن يجنبنا من متابعة الأهواء ومضلات الفتن، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ويعم به النفع في الدارين، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، والحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

– إبراهيم بن موسى اللخمي المعروف بالشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله دراز، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

– إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي، كتاب الاعتصام، الناشر: دار ابن عفان سنة النشر: ١٤١٢هجرية الموافق ١٩٩٢م.

– أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.

– أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

– أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت(٢٤١هـ)، المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

– أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت(٢٤١هـ)، فضائل الصحابة تحقيق د. وصي الله محمد عباس الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣-١٩٨٣.

– أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ت(٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.

– إسماعيل بن حماد الجوهري ت(٣٩٣هـ)، الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية. الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة، يناير ١٩٩٠.

– إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت:٧٧٤هـ)، البداية والنهاية تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط١، سنة النشر: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

– إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١.
- الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو زيد العجمي دار النشر: دار السلام القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- سيد قطب إبراهيم، فى ظلال القرآن، دار النشر: دار الشروق- القاهرة، بدون تاريخ.
- سيد محمد نوح، آفات على الطريق، الناشر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط٣، ٢٠٠٢م.
- شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت سنة الطبع: ١٤١٥ هـ
- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، لباب النقول في اسباب النزول صححه: الاستاذ احمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، الناشر: دار المعرفة- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- عبد الرحمن بن الجوزي، ذم الهوى: تحقيق مصطفى عبد الواحد، مراجعة الشيخ محمد الغزالي.
- عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، الناشر: دار الفكر بيروت، ١٩٩٣م.
- عبد الرحمن بن على ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت سنة الطبع: ١٤٢٢هـ.
- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- عبد المجيد بن عزيز الزنداني، كتاب توحيد الخالق، الناشر دار السلام للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٥م.
- عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي (ت ٣٨٧هـ)، الإبانة الكبرى، تحقق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي+ رضا بن نعسان معطي+ يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل+ حمد بن عبد الله التويجري+ دار النشر: دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨ هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- علي بن محمد بن علي الجرجاني التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.
- علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، أدب الدنيا والدين، الناشر: دار مكتبة الحياة.
- عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيبان (ت ٢٨٧)، كتاب السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.
- فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- مبارك بن محمد بن الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان الطبعة: ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم (ت ٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، التفسير القيم لابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: مشهور بن حسن سليمان، شارك في التخريج: أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الفوائد الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة، ط٣، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤٠٧هـ
- محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن تحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- محمد بن عيسى الترمذي سنن الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الجيل- بيروت+ دار العرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٩٨م.
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ابن منظور: لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت، لبنان.
- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ)، تفسير المنار الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
- محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر- بيروت، دمشق الطبعة الأولى.
- محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي الناشر: مطابع أخبار اليوم تاريخ النشر١٩٩٧م.
- محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، صحيح أبي داود، الناشر: مؤسسة غراس، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
- محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، ضعيف سن الترمذي، المكتب الاسلامي بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، ظلال الجنة في تخريج السنة، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت الطبعة: الثالثة،١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
- محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة،١٤٠٧هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، صحيح مسلم الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- مقبل بن هادي بن مقبل بن قائدة الهمداني الوادعي (ت ١٤٢٢هـ)، الصحيح المسند من أسباب النزول، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار الناشر: مكتبة أسامة بن زيد – حلب، الطبعة الأولى.